



مطلوب الاقناع ليس بالتهديد ولكن بالحوار والحجة

اعلن السيد الرئيس مرارا وفي مناسبات مختلفة كثيرة عن ايمانه العميق بحرية الرأي والتعبير ، واتخذ من هذا هدفا لم يرغب ان يفقد منه ، باعتبار هذه الحرية ضمانا أصيلا لكل عمل وطني بناء ومنتج .
فوائد الانفتاح الاقتصادي مثلا ، مجردة عن الاستغلال والانتهازية ، لا يسيل إليها الا في ضوء رقابة شعبية ، تلغظ من الصعانة القريبة بنيرا للتعبير ، معاقبة بعضات وشيانات سيئورة ، وبروح من الاحساس بالمسئولة الواجبة.

ولكن - عندما تتحول التنظيمات الشعبية والجماعية عن سواء السبيل ، يكون على اهل الرأي ان يسرعوا بالتوجيه والانذار ، خوفا من عواقب لا يعلم مداها الا الله - ولقد احوالت بعض القيادات مثلا التنظيمات والتوجيهات الى مجرد شعارات في فضاء ، وكلما تقدم مواطن باقتراح او دافع عن رأي : اما انها تتجاهله ، او تتعالى عليه ، او قد تتنازل من ابراجها لتوبخه على مقولته . . وهكذا تحولت حرية الرأي والكلمة الى اصوات تصطبغ في تيه وضباع ، والى مجرد حرية للصياح .

تسائل كثيرون عن دور الاتحاد الاشتراكي الجديد في صناعة القرار السياسي في مصر - بعد ان تم تشكيل هيئته وتدرجاته - وترددت الاسئلة بين همس وهديث ، ثم كتابات ومقالات ، ولكن الاتحاد الاشتراكي صم اذنيه عما يدور وتجاهله - وكأنه يصر على الابحيد

عن النمط الذى ورثه من التشكيل السابق .
ويتكرر نفس الشيء عندما يتبادل اهل
الفكر الحديث حول موضوع المناير - وهو
ذلك الموضوع الذى طلب فيه الرئيس
بحكمته رأى الشعب - كل الشعب ،
فى حرية وصراحة ، وافسحت الصحافة
صدرها لآراء المواطنين على اختلاف
نزعاتهم وثقافتهم ، يحاول بكل كاتب ان
يسهم برأى او فكرة لاصلاح اهم مؤسسات
يقوم عليها صرح التقدم الحقيقى فى مصر
- وهى المؤسسات السياسية .

وعلى ماتمودنا من التنظيم الجديد -
واستمرارا للتقليد التى تدعى الوصاية
على شعب قاصر ، والتى كان من المفروض
انذارها ، تجاهل المسئولون عنه كل هذه
الآراء الوطنية الهادئة الى اصلاح .
سكت الاتحاد الاشتراكى دهرا ، ثم جاء
بيان السيد امين الفكر والدعوة للرد على
تلك الهزيمة من تتناولوا وسمحوا لانفسهم
ان يفكروا لمصلحة وطنهم ، ولحمت سيف
الارهاب الفكرى فى مقالته :

« فكل من يخالفه فى الرأى فهو جاهل
وكل من دعى بغير دعوته ولفظه فهو
مغرض خائن » .

كتب سيادته يرد على اولئك الذين
يخلطون فى الرأى بين الديمقراطية
والليبرالية ، مذكرا بدروس اوربا منذ
بداية القرن الثامن عشر ، ومبرزا ما آلت
اليه هذه التجارب من انهرا فغزو الفاشية
والنازية والماركسية ، ودون تحميل القارىء
عبء نقاشى اكاديمى حول هذا المفهوم ،
الا يحق لنا ان نتساءل فى بساطة ووضوح
عن النظم السياسية التى تتبعها الان دول
اوربا المعاصرة والتى اشار اليها السيد
الكاتب فى ألمانيا الاتحادية وايطاليا
وفرنسا وانجلترا وغيرها ، لماذا يقف المقال

عند حدود انحرافى تجارب تلك البلاد ،
ولا تتجاوزها الى الوضع الراهن ؟ قامت
دعواه على ان الكتاب الاخيرين ينكرون
حركة التاريخ - فمن هو الذى ينكر حقيقة
هذه الحركة ؟ ! ان النظم السياسية
التي اشار اليها سيادة امين الدعوة هي
نظم ثارت على النازية والفاشية وتقدمت
نحو الايمان بحرية الكلمة والعقيدة في
ديمقراطية ترى في تبادل الآراء ضمانا
لسلامة ممارسة الحكم ، وضمانا لشرعية
قيادته وضمانا للحفاظ على مكاسب
شعبها بكل قطاعاتها ، فحرية الكلمة
تتيح للفلاح ان يتحدث معبرا عن رأيه
وعن مشاكله ، وتتيح للعامل ان يقول
كلمته الحقيقية المعبرة عن احتياجاته وعن
ذاته ، وتتيح لكل فئة ان تقول رأيا
دون ان يدعى احد تمثيلها او ان يعيش
ينعم بما يحقته من مكاسب عن طريق
الحدث باسم الفلاح والعامل .

ثم لماذا نعتبر خبراتنا السابقة -
قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبعدها - كلها
سلبية ؟ لماذا ننتقد كل ما قدمه أبائنا
وزعمائنا السابقون على انه مجرد عبث ؟
كنت اظن اننا قد عبرنا في مصر مرحلة
المراجعة الفكرية هذه - تلك المرحلة التي
لا ترى غير ان « الامر لا يعدو موقنين »
- ابيض واسود . ان الامانة العلمية
والوطنية تتطلب منا ايضاح مغاير الماضي
وسلبياته على سواء ، لان الماضي لو كان
سلبيات لما كان هناك أى مبرر أو أمل
في ان يكون حاضرتنا أو مستقبلنا مغايرا
له - بل سيكون امتدادا لتلك السلبيات
ثم ان ذلك الماضي بكل ما اعتل فيه من
تناقضات هو الذى افرز قادة ومفكرى هذه
الحقبة التي نعاصرها من تاريخ مصر ،
والتي نحرص على ان تكون تقديما الى
افضل . اننا في حاجة الى تأكيد ثقتنا

بأنفسنا ، وأن نحرم على تعيق
هذا الاحساس لدى شبابنا بكل فئاته
وتطاعاته وأفكاره .

أما ان نشهر سلاح الإرهاب الفكرى
إمام كل من يرجع الى تجارب الماضى
لمستفيد من عبرها ودروسها ، ونصفه
بالخروج على مكاسب قوى الشعب العاملة
— فادعاء ساذج . واسلوب اتقنته فنون
الدعاية النازية والماركسية تحت عنوان
« التشهير والفضح العلنى » لكل مخالف
فى الرأى ، ولا اعتقد أننا سنلجأ الى
هذا فى عصر السادات .

ان تحالف قوى الشعب العاملة هى
مينة ارتضتها تطاعات الشعب فى
الماضى وفى الحاضر وفى ايام قادمة ،
والحزبية لا تعنى ولا ترادف الطبقية ،
كما ان المنبر لا يعبر عن مصالح ذاتية
خاصة بالعمال وحدهم او الفلاحين وحدهم
او المثقفين وحدهم بل هو تعبير
عن مصلحة مصر كلها من منطلقات فكرية
بمتددة تبحث عن انجح الوسائل للوصول
الى هدف مشترك — هو تقدم مصر
وازدهارها ، لاساس بمكاسب الشعب
بكل عناصره — قد أصبحت حقائق .

ان دعوة رئيس الجمهورية الى اطلاق
حرية الرأى انها تهدف الى كشف امثار
الفساد والرشوة والدخول الطليقة التى
يستمتع بها المغرغسون فى غياب الحرية .

ان حركة التاريخ المصرى تؤكد باستمرار
تحالف قوى الشعب بكل مكاسبه — سواء
عبر هذا الشعب عن ذاته من خلال احزاب
مباشرة او ارتضى صيغة المنابر كخطوة
على الطريق والديمقراطية السياسية التى
تواكب الانفتاح الاقتصادى والتقدم الاجتماعى
والازدهار الفكرى انها هى تلك الديمقراطية
التي يتم التعبير عنها عن طريق التبادل



الفكرى الحر فى وعى بمصالح الامة كلها
— وليست لحساب فئة من الانتهازيين
واصحاب المصالح الخاصة . انها تعبير
عن شعور تقدمى فى وعيه وشب عن الطوق
ولا حاجة به لوصاية الامناء ، انها تعبير
عن انطلاقة العامل والفلاح والجندى
والمتقف والتاجر التزيه لحماية مكاسبهم
واستخلاصها من برائن اذعياء النفاق
عنها ، انها تعبير الرئيس المؤمن الواثق
من نفسه بعد جولات ناجحة ضد اعداء
البلاد فى الخارج على اكثر من صعيد
وانها دعوته للقضاء على اسباب التخلف
وعناصره فى الداخل ، فله التوفيق

بقلم الدكتور

على احمد عبد القادر

اسناد النظرية السياسية بكلية
الاقتصاد — جامعة القاهرة